فانتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت الفلاني فاشهدني في ذلك الوقت في البلد الفلاني قال فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق وقد استدار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق لحولته أيضا ففتح عينيه وقال لا تتعب فإني لا أموت إلا على هذه الجهة وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فجئنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم فقلنا لهم ما شأنكم فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة فلما كان اليوم مات على الاسلام فقلنا لهم خذوا هذا بدله وسلمونا صاحبنا قال فولينا ه فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين وولواهم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى نسأل ا حسن الخاتمة مات الشيخ على في رجب من هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة .

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر وفي المحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عيذاب فنهب تجارها وقتل خلقا من أهلها منهم الوالي والقاضي فسار إليه الامير علاء الدين أيد غدي الخزندار فقتل خلقا من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد وأخذ بالثأر و الحمد والمنة .

وفي ربيع الاول توفي الامير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ودفن في تربة والده في عشر السبعين وكان له في ملك صهيون وبزريه إحدى عشرة سنة وتسلمها بعده ولده سابق الدين وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له فلما حضر أقطعه خبزا وبعث إلى البلدين نوابا من جهته .

وفي خامس جمادي الاخرة وصل السلطان بعسكره إلى الفرات لأنه بلغه أن طائفة من التتار هنالك فخاض إليهم الفرات بنفسه وجنده وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقا كثيرا وكان أول من اقتحم الفرات يومئذ الامير سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وتبعهما السلطان ثم فعل بالتتار ما فعل ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم ودخل السلطان إلى البيرة في أبهة عظيمة وفرق في أهلها أموالا كثيرة ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الاخرة ومعه الاسرى وخرج منها في سابعة إلى الديار المصرية وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة وكان يوما مشهودا ومما قاله القاضي شهاب الدين محمود الكاتب وأولاده يقال لهم بنو الشهاب

محمود في خوض السلطان الفرات بالجيش ... سر حيث شئت لك المهيمن جار ... واحكم فطوع مرادك الاقدار